كتاب الأخبار الطوال للدينوري ومحققه في الميزان

بقلم

الدكتور سيد رضوان علي

أستاذ مشارك في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

جامعة بنغازي

صدر هذا الكتاب منذ مدة في سلسلة تراثنا من إدارة إحياء التراث بوزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر. وكان محققه الأستاذ عبد المنعم عامر يعمل آنذاك في تلك الإدارة. أما مراجع الكتاب فكان الأستاذ جمال الدين الشيال أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الإسكندرية وقد انتقل إلى رحمة الله.

وكتاب الأخبار الطوال أحد أمهات المصادر القديمة في التاريخ الإسلامي كما هو معروف، وعاش مؤلفه أبو حنيفة الدينوري في القرن الثالث الهجري. ونشر الكتاب لأول مرة بتحقيق المستشرق الروسي جرجاس في ١٨٨٨ م.، ثم أعاد نشره المستشرق الروسي الكبير كراتشوفسكي بتحقيق جديد واف، ومع فهارس فنية وتعليقات في ١٩١٢ م. بليدن.

وأعيد نشر طبعة جرجاس في القاهرة من قبل مطبعة السعادة بدون تعليقات وفهارس.

وأشار إلى كل هذا محقق هذه الطبعة الحكومية ولكنه لم يشر إلى طبعة أخرى للكتاب في القاهرة أيضاً، وهي بمطبعة عبد الحميد الحنفي (على نفقة صاحب المكتبة العربية ببغداد)، دون تاريخ.

ويتساءل المرء بعد ذلك ما هو الداعي لتحقيقه بعد أن خدم الكتاب خدمة علمية على يد أحد كبار المستشرقين وطبع مراراً في الشرق والغرب. والجواب على ذلك أن المحقق قد اطلع على أقدم نسخة للكتاب – حسب قوله – بمدينة

سوهاج في ١٩٥٧ م لم يكن قد عثر عليها كراتشوفسكي، فرأى أن يقوم بتحقيقه من جديد. وهذا شيء جميل. ولكن عندما نتساءل مرة أخرى: هل أتى المحقق الفاضل بشيء جديد باعتماده على هذه النسخة الجديدة؟ فالجواب: لا شيء. إذ لا هو صرّح بذلك ولا هوامش الكتاب تدل عليه. وليس هذا فقط بل لم يقم المحقق الفاضل بالتقيد بالشرط البديهي الأول لتحقيق المخطوطات أو الكتب المطبوعة وهو مقارنة المخطوط مع مخطوطات أخرى أو طبعات أخرى للكتاب الذي يراد تحقيقه، ثم إقامة نص سليم مضبوط في ضوء هذه المقارنة والعرض. ولا هدف لعمل التحقيق بالدرجة الأولى إلا هذا. ولكن أقيم النص على شروط علمية بقلم كراتشوفسكي، فماذا يستطيع الأستاذ عبد المنعم عامر أن يزيد عليه إلا شرح بعض الكلمات وكتابة بعض تعليقات إيضاحية في الهوامش، ولم يكن في الكثير منها دقيقاً ولا مصيباً كما سنرى عما قريب.

إذن فلم يرد المحقق – في أغلب الظن – إلا الاشتهار. وهذا داء قد انتشر مع الأسف بين بعض فئات الكتاب الذين يكررون نشر أعمال المستشرقين، دون أن يتكبدوا مشقة بعث واحد من ألوف روائع المخطوطات العربية من مراقدها، بتحقيقه ونشره. وأذكر من بين هؤلاء أيضاً الأستاذ أنيس طباع الذي كرّر نشر كتاب افتتاح الأندلس لابن قوطية من تحقيق المستشرق الإسباني ريبرا، دون أن يضيف إلى تحقيقه شيئاً ذا بال، ثم يكتبون مقدمات طويلة عريضة يكشفون فيها عن قلة إدراكهم لمسئولية التحقيق، وعدم معاناتهم للتنقيب والبحث كما يجب. ويخطر ببالي في هذا المجال المقدمة التي كتبها الأستاذ عبدالغني حسن لكتاب «تلخيص البيان في مجازات القرآن» من تحقيقه، وأنكر فيها وجود كتاب آخر في نفس الموضوع لسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام السلمي، مع أن الكتاب مطبوع في الآستانة في ١٣١٣ هـ. وذكره أيضاً بروكلمن في تاريخه للأدب العربي.

ونجد مثل هذه الأمثلة من قلة المعاناة وعدم التدقيق وسوء خطة التحقيق في تقديم محقق هذا الكتاب وتعليقاته.

اولاً – من المعروف أن أمر المراجع مهم جداً في تحقيق مخطوط أو مطبوع من الكتب . وكل المراجع التي رجع إليها المحقق أربعون مرجعاً لم تذكر طبعاتها وأجزاؤها . ومنها كتب كثيرة لها عدة طبعات كالكامل في التاريخ لإبن الأثير ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ووفيات الأعيان لابن خلكان وغيرها . ومن الغريب حقاً أن فهرس المراجع هذا يشمل بجانب لسان العرب لابن منظور والاشتقاق لابن دريد والقاموس المحيط للفيروزآبادي المنجد للأب لويس معلوف . ومتى كان المنجد معجماً يعتمد عليه في تحقيق كتاب مثل الأخبار الطوال ؟ وإن هو إلا قاموس لطلبة المدارس الثانوية ومملوء بالأخطاء . والواقع أن المحقق الفاضل اعتمد عليه كثيراً، ليس في شرح اللغة فحسب بل في كثير من تعليقاته على المدن والأعلام . ومن المعلوم أن ملحق المنجد باسم « معجم أعلام الشرق والغرب » بقلم فردينان توتل فيه أوهام وأغلاط فاحشة .

هذا ولم يرجع المحقق إلى أمهات كتب التاريخ المعاصرة أو قريبة العهد من زمن المؤلف مثل تواريخ اليعقوبي والبلاذري والطبري والمسعودي وغيرها ولا إلى كتاب « إيران في عهد الساسانيين » تأليف كريستنسن ، وهو مترجم إلى العربية وأحسن مرجع عن إيران في العهد الساساني ، وكتاب الأخبار الطوال يحتوي على أخبار كثيرة عن إيران في ذلك العهد .

ثم إنه لم يثبت في تعليقاته أسماء مصادره أبداً ، وهذا يخالف منهج التحقيق بداهـــة .

ثانياً – ونأتي بعد ذلك إلى تقديم المحقق فنلاحظ أنه أتى فيه بأشياء عجيبة فضلاً عن أن معظمه منقول من مقدمة كراتشوفسكي لطبعته المذكورة .

١ – قال في صفحة (ج) : « وتزداد القيمة التاريخية لكتاب الأخبار الطوال في أن مؤلفه قد عاصر بعضاً من حوادثه ، وأنه دوّن في كتابه ما شاهد ورأى » .

وهذا الكلام ينافي الواقع تماماً . فالحقيقة أن المؤلف لم يدوّن شيئاً مما شاهده . إذ أنه أنهى كتابه بنهاية خلافة المعتصم (٢٢٧ هـ.)، وعاش بعد ذلك حقبة طويلة أي ٥٥ عاماً ، وأهمل كل هذه الفترة القلقة المضطربة ، ولم يسجل من حوادثه شيئاً ، بل إنه لم يذكر من فترة خلافة المعتصم – التي عاشها وهو شاب – إلا قصة ثورة بابك الخرمي، وأهمل تدوين كل الحوادث الهامة الأخرى ذات الأثر البالغ في سياسة الدولة في الداخل والخارج ، من استخدام المماليك الأتراك في الجيش ، والحرب مع البيزنطيين في معركة عمورية ، والقضاء على فتنة الزط وغير ذلك .

والمحقق نفسه شعر بهذه الحقيقة فقال بعد ذلك في صفحة (ص) : « أنه قد أهمل تدوين الحوادث التاريخية في الحقبة التي عاشها أبو حنيفة » . فما هذا التناقض ؟

٢ – قال في صفحة (د) : « وأورد بالتفصيل الوافي أخبا اً هامة عن تاريخ الإسكندر » .

وحقيقة الأمر أن معظم هذه الأخبار تكاد تكون خرافية ، والتاريخية منها غير مضبوطة . فمنها أن الإسكندر ذهب فاتحاً إلى مكة واليمن وقيروان (كذا) ... الخ ، وأنه ملك ٣٠ سنة (انظر الكتاب صفحات ٢٩ – ٣٩) .

فما هي الأخبار الهامة التي يشيد بذكرها المحقق ؟

٣ – علق في صفحة (و) على كلمة وَنَنْدْ ، اسم جد أبي حنيفة الدينوري بقوله : « بعض المؤرخين يذكرها وَتَنْدْ ، وعليهم اعتمد مرجوليث في كتابه ج ١ ص ١٢٣ » .

فما هو كتاب مرجوليث هذا ؟ والحقيقة أنه ليس له بل إرشاد الأريب أو معجم الأدباء لياقوت الحموي ، وحققه مرجوليث . ثم اسم وَتَنْد خطأ كما أثبته بروكلمن في تاريخ الأدب العربي (الترجمة العربية ج ٢ ص ٢٣٠)

وكما ذكره الأمير مصطفى الشهابي نقلاً عن الأستاذ داود بور الإيراني في مقاله عن أبي حنيفة الدينوري في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (مجلد ٢٦) .

٤ ــ وقال في صفحة (ش) : « ورواية أبي حنيفة الدينوري عن الأصمعي رواية كثيرة في الأخبار الطوال » .

والحقيقة أن اسم الأصمعي لم يرد إلا في موضعين في خبر واحد كما أثبت المحقق نفسه في فهرس الرواة ، فمن أين هذه الكثرة ؟.

٥ ــ قال في صفحة (ق) : « أنه استطاع أن يكتسب نبوغاً ممتازاً في تصوير الحوادث التاريخية بأسلوب عربي مبين ، وبطراز فريد من المنهج التأليفي . فأبو حنيفة لا يذكر التاريخ مؤقتاً عاماً بعد عام كما يفعل مؤرخوا العرب ، وإنما يحكي الحوادث والأحداث من بدئها إلى ما صارت إليه » .

أما أسلوب أبي حنيفة الدينوري فمما لا شك فيه أنه أسلوب مشرق مبين، وهو أسلوب ذلك العصر . وأما نبوغه كمؤرخ فليس الأمر كما يقول الأستاذ عبد المنعم عامر . فالواقع أنه ليست ثمة قيمة كبرى لعمل الدينوري في مجال التاريخ الإسلامي ، ومن ثم لم يذكره المسعودي فيمن ذكرهم من المؤرخين الكثيرين المعاصرين له وغير المعاصرين في مقدمة تاريخه المعروف « مروج الذهب » وكذلك لم يعتبر فرانز روزنثال (F. Rosenthal) في كتابه القيم « علم التاريخ عند المسلمين » كتاب الدينوري هذا من المصادر التاريخية التي تستحق الإشادة والتنويه ، ثم هو كتاب مختصر جداً .

كما أن الدينوري لم يكن صاحب منهج فريد في تدوين الحوادث التاريخية بمواضيعها لا حسب السنين . ولم يتخذ جميع مؤرخي العرب طريقة تدوين التاريخ بطريقة الحوليات كما يقول المحقق ، بل وجد من معاصري أبي حنيفة كاليعقوبي والبلاذري وابن قتيبة والمسعودي وغيرهم من دوّنوا التاريخ تحت عناوين الأحداث . ونظرة واحدة في كتاب الفهرست لابن النديم تبين أن كثيراً من المؤرخين قبل الدينوري ألفوا في التاريخ بحسب المواضيع لا السنين .

والحقيقة أن نبوغ أبي حنيفة الدينوري برز لا في مجال التاريخ بل في معرفته الموسوعية وتآليفه المتنوعة في اللغة والعلوم والتفسير والتاريخ. وكتاب الأخبار الطوال يعتبر عملاً جانبياً إزاء أعماله الكبرى مثل كتاب الأنواء الذي نوّه به ياقوت أعظم تنويه. وأهم من ذلك كتابه «النبات» الضخم في ستة مجلدات، عثر منه على المجلد الخامس فقط في استنبول كما يذكر الأمير مصطفى الشهابي في مقاله المذكور (وفات ذلك المحقق)، والذي نقل عنه كثير من علماء اللغة وعلماء النبات مثل ابن البيطار وابن العوام وغيرهما.

ومما لا شك فيه أن الدينوري كان أحد الأفذاذ في الثقافة العربية والعلمية، وامتاز بعمق التفكير وسعة المعرفة، وكان قريع الجاحظ في هذا المجال، بل فاقه حسب رأي الأمير مصطفى الشهابي «في دقة تصنيف العلوم وفي الابتعاد عن خلط بعض البحوث العلمية ببعض في كتاب واحد». ولقد انتقد البيروني في كتابه «الآثار الباقية عن القرون الخالية» الجاحظ بأنه «ساذج سريع التصديق» كما نقل عنه العلامة الروسي بارتولد. وتغلب نفس الصفة على أبي حنيفة الدينوري في بعض ما رواه في تاريخه. ومنها مثلاً قصة ذهاب الصحابي عبادة بن الصامت (لا عبد الله بن الصامت كما ورد في المتن)، في أول خلافة أبي بكر الصديق إلى القسطنطينية لدعوة إمبراطور بيزنطة إلى الإسلام، ومشاهدته صور الأنبياء من آدم إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عند الإمبراطور (ص ١٩). وفنّد كراتشوفسكي هذه القصة في كتابه الجليل «تاريخ الأدب الجغرافي العربي» (تعريب صلاح الدين هاشم) القسم الأول، ولم ينتبه إليه المحقق.

وهناك ناحية هامة لم يتعرض لها الأستاذ عبد المنعم عامر في تقديمه للكتاب، والذي شحنه ببعض أمور لا علاقة لها بصلب الموضوع، وهي أن الدينوري يظهر ميوله الشيعية والإيرانية بتفصيله في حوادث حروب سيدنا عليّ (رض) مع الأمير معاوية، ومعركة كربلاء، ثم حروب الخوارج والمختار الثقفي ضد الأمويين، وأخيراً يفصل في تاريخ أبي مسلم الخراساني،

ويهمل ذكر منجزات الأمويين في مجال الفتوح في الشرق والغرب ، وكذلك إنجازات العباسيين في المجال الحضاري . وما واجهوه من المشاكل السياسية وخرجوا منها ظافرين ، وما ذكره في هذه المواضيع مقتضب جداً .

٦ ـ قال في صفحة (ي) ـ وهو يعد مؤلفات أبي حنيفة ـ « كتاب الردّ على رصد الأصفهاني » .

والصواب « لغدة » الاصفهاني أو لكذة حسب اختلاف الروايات ، كما في تاريخ الأدب لبروكلمن (الترجمة العربية، الجزء الثاني) ومقال الأمير مصطفى الشهابي المذكور .

٧ ـ وقال في صفحة (ص): وكانت المؤلفات في هذا العصر تلعب دوراً كبيراً في توجيه سياسة الدولة ، وتركيز سلطان الحكم ، وفي بعث روح النقد الاجتماعي والسياسي . وقد جرّت المؤلفات الوبال على أصحابها أحياناً . فكان القتل نهاية ابن المقفع بسبب كتابه « كليلة ودمنة » . وقد خشي أبو حنيفة إن هو أرّخ لهذه الفترة المضطربة أن يجرّ عليه كتابه الوبال ، وأن يتخذ منه مناهضوه مادة مسمومة تجلب عليه الشرّ » .

وفي هذا الكلام مغالطات كثيرة وسوء تعليل ومسحة صحافية . فكأن القرن الثالث الهجري كان مثل القرن الثامن عشر الميلادي في فرنسا من حيث تأثير مؤلفات روسو وفولتير وغيرهما من الكتاب والفلاسفة الفرنسيين الذين بذروا بذور الثورة الفرنسية . والمعلوم أن الكتب قبل اختراع الطباعة كانت قليلة الانتشار وخاصة في ذلك العصر المبكر ، ولا نعرف أبداً أن مؤلفاً أو كتاباً قلب العروش والأوضاع السياسية والاجتماعية في العصر العباسي ، فكلام المحقق في هذا المجال ليس له نصيب من صدق الواقع .

ولم تكن نهاية ابن المقفع بسبب كتاب « كليلة ودمنة » ، بل لتحاسد وتباغض بينه وبين سفيان بن معاوية من كتاب المنصور ، ولما كان من أمره في قضية كتابة وثيقة الأمان لعبد الله بن علي العباسي ، عم المنصور ، الذي

كان قد لجأ، بعد فشل ثورته على المنصور، إلى أخيه سليمان بالبصرة. وكتب له ابن المقفع وثيقة الأمان هذه بطلب من الوالي أو أخيه عيسى بن علي العباسي. وفيها من الأيمان المؤكدة المغلظة على لسان الخليفة ما أحرجت المنصور وأغضبته، فدبر مقتله على يد سفيان بن معاوية كما جاء مفصلاً في كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري.

ثم لم يهمل المؤرخون في العصر العباسي حوادث أهملها أبو حنيفة خوفاً من «جرّ الوبال عليهم». فهذا الطبري واليعقوبي والمسعودي وغيرهم سجلوا الأحداث التاريخية إلى أواخر سني حياتهم على وجه التقريب دون أن يخافوا على أنفسهم، وذكروا لبعض الخلفاء العباسيين بعض هفواتهم وعيوبهم الشخصية كبخل المنصور الشديد وغدره مراراً، ووصف المعتصم بالأمّية وسوء تدبيره في استخدام المماليك الأتراك في الجيش وغير ذلك دون أن يخشوا من بطش أعقابهم من الخلفاء العباسيين.

وليس من الصحيح ما يقوله المحقق في نفس الموضع من وجود الصراع بين الأحزاب العربية والفارسية والتركية في الفترة التي عاشها الدينوري، والذي منعه حسب زعم المحقق من أن يسجل حوادث هذه الفترة، فكل دارس للتاريخ الإسلامي يعرف أن الأمر كان قد استقر منذ خلافة المعتصم (٢١٨ ــ ٢٢٧ هـ.) للأتراك وخاصة بعد قضائه على مؤامرة ابن أخيه العباس ابن المأمون بالاشتراك مع بعض القواد العرب. وبعد وفاة المعتصم أو بالأحرى بعد مقتل المتوكل أصبح القادة الأتراك في الجيش أصحاب الأمر والنهي في الدولة العباسية. وفي هذه الفترة حدثت حوادث جسام مثل ثورة الزنج في جنوب العراق، وقيام الدولة الصفارية الفارسية في إيران، ودولة بني طولون التركية في مصر، ولم يحدث الدينوري عن كل ذلك بخلاف اليعقوبي والطبري والمسعودي وغيرهم من المؤرخين المعاصرين دون أن يجرّ عملهم هذا أي وبال عليهم. فهذا الاعتذار عن أبي حنيفة الدينوري دفاع باطل.

٨ ــ ويذكر في صفحة (ر): إتلاف «الدواوين الشعرية للخوارج والشيعة

ولغيرهما من الطوائف المذهبية بسبب المنازعات الطائفية ، ولم يبقَ منها إلا نتف مأثورة مبثوثة في الكتب العديدة . وأبو حنيفة الدينوري قد اطلع على هذه الدواوين وروى عنها كما روى عن أولئك الذين اشتركوا في الحوادث التاريخية وطال بهم العمر ، فأدركهم أبو حنيفة وقابلهم في أسفاره العديدة لبلاد الدولة العربية » .

وهذا الكلام فيه مغالطات وأوهام كثيرة وهو عار عن الدقة . فإذا كانت هذه الدواوين قد أتلفت فكيف استطاع الدينوري الاطلاع عليها ، أو أنها أتلفت بعد عصر الدينوري ؟ والحقيقة أن الخوارج والشيعة لم يؤلفوا دوواين في الشعر السياسي بل نظموا شعراً كثيراً في الحروب والخلافات بينهم ، ودوّن منه الشيء الكثير في كتب الأدب والتاريخ كالكامل للمبرد ومجالس ثعلب والأغاني للأصفهاني وتاريخ الطبري وغيرها . هذا وديوان الهاشميات للكميت ابن زيد الأسدي المتوفى في ١٢٠ هـ. في شعر الشيعة مطبوع ، وشعر قطري بن الفجاءة وعمران بن حطان من الخوارج معروف في حماسة أبي تمام . وكان خير دليل للمؤلف كتاباً حديثاً « شعر الحرب في أدب العرب » للدكتور زكي المحاسني لئلا يجازف بمثل هذا القول . ومن هؤلاء الذين طال بهم العمر وأدركهم أبو حنيفة يروي عنهم حروب علي ومعاوية ، ومعركة كربلاء وحروب الخوارج وأبي مسلم الخراساني بعد قرن ونصف أو قرن من الزمان ؟

أما أسفاره العديدة فلا يعرف منها إلا رحلته إلى الكوفة والبصرة وبغداد ولم يحددها المحقق .

وما نسبه المحقق إلى الجاحظ من الثناء على أبي حنيفة الدينوري في مؤلفاته فلا أثر له فيها مثل كتاب الحيوان ، والبيان والتبيين ، والتاج ورسائل الجاحظ . ولا ثبت مراجع المحقق يؤكد أنه راجع مؤلفات الجاحظ ليحكم بهذا الحكم . وكل ما هنالك في الأمر أن أبا حيان التوحيدي قد أطرى أبا حنيفة الدينوري في كتابه تقريظ الجاحظ (وهذا الكتاب ما زال في عداد المفقود) ونقل عنه

هذا القول بعض المؤلفين المتأخرين . ولا يعقل ثناء الجاحظ على الدينوري بهذه الطريقة التي يذكرها المحقق فالجاحظ توفي في ٢٥٥هـ. بعد عمر طويل(١٠٥سنة)، بينما ولد الدينوري في العقد الأول أو الثاني من هذا القرن ، أي كان أبو حنيفة لم ينضج علمه بعد بينما كان الجاحظ قد بلغ من العمر عند ولادة الدينوري حوالى ٦٠ سنة ، وإذا قدرنا نبوغ الدينوري المبكر جداً فربما كان هذا الثناء في كتاب الجاحظ « الزرع والنخل » الذي ألفه في ٢٤٣ هـ. (كما ذكره الأستاذ عبد السلام هارون في مقدمة البيان والتبيين) ، وذلك لمعرفة الدينوري الواسعة في النبات . ولقد عرفنا أن كتاب النبات الضخم أهم أثر للدينوري . هذا إذا ألف الدينوري كتابه هذا قبل وفاة الجاحظ .

ثالثاً ــ ونأتي بعد هذا ونلقي نظرة فاحصة على تعليقات المحقق الكثيرة في هوامش الكتاب . فنجد أنه في الكثير منها أتى بأشياء غريبة تدل على قلة المعاناة في البحث والتنقيب . وانتقى منها بعض الأمثلة .

ص ٣ ــ « بلخ كانت عاصمة دولة آل سبكتكين » .

وهذا وهم ، بل كانت عاصمتهم غزنة في أفغانستان الحالية ، ومن هنا اشتهرت دولتهم بالدولة الغزنوية .

ص ٢٠ ــ « مَرْوْ مدينة بفارس » .

وليست فيها بل في خراسان ، وكانت عاصمتها . وفارس يطلق على الإقليم المعروف في جنوب غربي إيران . والمحقق نفسه يميّز بين فارس وخراسان في مواضع أخرى .

ص ٣٠ ــ « البطارقة جمع بطريق وهو الحاذق بالحرب وأمورها » .

والصواب أن البطريق كلمة معربة من أصل لاتيني (Patricus)، ومعناها النبيل في منظمة النبلاء في الدولة الرومانية القديمة ومعناها أيضاً نائب الإمبراطور الروماني (أو البيزنطي) في بعض مقاطعات الدولة . وانظر القاموس الإنكليزي أكسفورد في مادة Patrician .

ص ٣٥ – « منجنيق : لفظة معربة عن الفارسية » .

والصواب أنها معربة من الكلمة اللاتينية Mangoonis ، انظر « الفن الحربي في صدر الإسلام » لعبد الرؤوف عون (ص ١٥٦) ، ومادة « Mangonel » في قاموس أكسفورد الكبير . وأصلها اليوناني Magganon والفرس أخذوها عن اليونان كما ذكره جرجي زيدان في تاريخ التمدن الإسلامي ، الجزء الأول ص ١٩٦ بتحقيق الدكتور حسين مؤنس .

ص ٣٦ – « البيض : جمع بيضة نوع من السلاح » .

وهذا تفسير غريب ، فالمعروف الصواب أن البيضة هي الخوذة الحديدية تلبس على الرأس للوقاية في الحرب . وانظر وصفها في كتاب عبد الرؤوف عون الآنف الذكر صفحة ١٨٤ .

ص ٣٧ – « بخارى : فتحها العرب في عهد معاوية سنة ٥٥ هـ. » .

لم تفتح في عهد معاوية بل في عهد الوليد بن عبد الملك على يد قتيبة بن مسلم الباهلي في سنة ٩٠ هـ. . ومن الغريب أن يقع المحقق في مثل هـذا الخطأ ، وفي الكتاب نفسه عنوان عن فتح بخارى وسمرقند في عهد الوليد ابن عبد الملك . وانظر تاريخ الطبري في حوادث سنة ٩٠ هـ. ، أو الجزء السادس الصفحة ٤٤٢ من طبعة دار المعارف بتحقيق محمد أبي الفضل إبـراهيم .

ص ٤٩ – « الأنبار : مدينة قرب بلخ ، وهي قصبة ناحية جوزجان »

وهذا نقل غير واع عن ياقوت . فلا شك أنه كانت هناك مدينة بهذا الاسم ولكن المقصود في النص مدينة الأنبار الشهيرة في التاريخ الإسلامي الكائنة في جنوب العراق والتي بناها الملك الساساني سابور ذي الأكتاف أو سابور الثاني وسماها فيروز سابور كما ورد في متن الكتاب نفسه عند الكلام على هذا الملك . وأنبار كلمة فارسية معناها كومة من الأشياء ، وأصبحت هذه المدينة فيما بعد مركز الغلال ومن ثم اشتهرت بهذا الاسم .

ص ٤٩ – « السوس : مدينة في إيران فتحها العرب سنة ٦٣٨ م ، وظلت مزدهرة على أيامهم ، ثم خربت في القرون الوسطى » .

هذه العبارة نقلها المحقق من ملحق المنجد باسم « معجم أعلام الشرق والغرب » بقلم فرديناند توتل ، ومن ثم لم يذكر السنة الهجرية وهي ١٧ هـ. ، كما أنه لم يبين مكانة هذه المدينة وموقعها على وجه التحديد . وكانت تقع في إقليم فارس جنوب غربي إيران ، وهي عاصمة العيلاميين من الشعوب المذكورة في التوراة ، والعاصمة الشتوية للملوك الأخمينيين أو الهخامنشيين على الأصح مثل دارا وخوشايارخُش (زراكسيس في اللغات الإفرنجية) ، وتعرف في النصوص الفارسية والأوربية بسوسة كما تعرف أيضاً بـ « شُوش » . وانظر تراث فارس بقلم نخبة من المستشرقين (الترجمة العربية تحت إشراف الدكتور يحيى الخشاب ص ٢٧ ومواضع أخرى حسبما في فهرس الأعلام) . وانظر أيضاً الموسوعة العربية المبسرة بإشراف محمد شفيق غربال ، مادة سوسة .

ص ٥٨ – « **الهياطلة** : جنس من الترك أو الهند » .

ثم قال معلقاً على نفس الكلمة مرة أخرى في صفحة ٦٥ : « اسم لبلاد ما وراء النهر » . والصواب أنهم من القبائل التركية في آسيا الوسطى ، والمعروفون في النصوص الأوربية بالهون (Huns) أو (Hunni) ، وفي الصينية : هيونجنو . وسماهم العرب بالهياطلة كما سموا بلاد ما وراء نهر جيحون ببلاد الهياطلة لاستيلاء هؤلاء على تلك المنطقة في هجرتهم نحو الغرب كما ذكره المستشرق الروسي بارتولد في كتابه بالإنكليزية « تركستان إلى غزو المغول » .

ص ٦١ – نجران : « مدينة بينها وبين الكوفة مسيرة يومين فيما بينها وبين واسط » .

يبدو أن هذه العبارة منقولة من ملحق المنجد ، وأساء المحقق في النقل فإن

صاحبه ذكر ثلاث مدن بهذا الإسم ، ومنها نجران اليمن ، وهي أشهرها . والسياق في النص أي قصة ذي نواس ملك اليمن مع أصحاب الأخدود يقتضي نجران اليمن بداهة .

ص ٦٥ – « خطرنية : بلد كانت (كذا) بأرض بابل » .

وتحديدها على وجه الدقة كما ذكره الطبري (طبعة دار المعارف ٧/ ٣٦٠) قرية من سواد الكوفة ، ولد فيها أبو مسلم الخراساني على أرجح الروايات.

ص ١٠٦ – « هرقلة : مدينة ببلاد الروم ، سميت باسم هرقلة بنت ملك الروم، وهي بالقرب من صفين من الجانب الغربي » .

ويبدو أن هذه العبارة منقولة من بعض المصادر الجغرافية القديمة دون تبصر وتدقيق . فالحقيقة أن هرقلة أو هرقلية على الأصح اسم عدة مدن بنيت على اسم الإمبراطور البيزنطي الشهير هرقل (٦١٠ – ٦٤١ م.) في آسيا الصغرى وسورية الشمالية . وكانت أكبرها وأشهرها في شمال غرب آسيا الصغرى من الأراضي البيزنطية غير بعيدة عن القسطنطينية (وهي الآن قرية صغيرة في جمهورية تركيا وتسمى أركلي)، وفتحها هارون الرشيد في ١٩٠ هـ. وخرّبها عقاباً لوقاحة الإمبراطور البيزنطي نقفورس أو نقفور ، وهي المقصودة في الكتاب. وكانت أخرى فوق مدينة طرسوس في جنوب آسيا الصغرى وقد ورد ذكرهما كثيراً في تاريخ الطبري . أما ما ذكره المحقق فتقع في الأراضي السورية قرب مدينة الرقة .

ص ١٠٧ – « المرازبة : كمرحلة : رياسة (كذا) الفرس والواحد مرزبان » .

كيف تكون المرازبة كمرحلة ؟ واختلاف الوزن ظاهر . والصواب كمشارقة . ومرزبان أحد المناصب الإدارية الكبرى في إيران في العهد الساساني وهو حاكم منطقة أو ولاية . (انظر الموسوعة العربية الميسرة في مادة ساترب) .

ص ١١٠ – « كانت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في ١٣ من شهر ربيع الأول ... الموافق ٢٠ يونيه ... »

والصواب : الموافق ٨ يونيه كما هو في دائرة المعارف الإسلامية ومعظم كتب التاريخ الإسلامي الحديثة مثل مختصر تاريخ العرب لسيد أمير علي وتاريخ العرب لفيليب حتي وتاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن .

ص ١١٠ — « كانت الأنبار مقراً للخلافة إلى أن تأسست مدينة بغداد » .

وهو منقول حرفياً من ملحق المنجد « معجم أعلام الشرق والغرب » . ولم يكن الأمر كذلك بل كانت العاصمة في عهد السفاح الأنبار أو بالأحرى الهاشمية بجانب الأنبار وهي عبارة عن بعض دور وقصر للخليفة وأسواق قرب المدينة القديمة الأنبار ، ثم هاشمية الكوفة في بداية عصر المنصور ، ثم مدينة قصر ابن هبيرة غير بعيدة عن الكوفة ، حتى بنيت بغداد .

هذا والمؤلف نفسه قال في صفحة ٣٩٠ « فنزل الرشيد بمدينة أبي العباس وهي من الأنبار على نصف فرسخ » .

ص ١٤١ — « بخت‌نصر ، ملك الكلدانيين ، وانه حسب رواية البيروني صيغة فارسية معناه كثير البكاء والأنين » .

ولم يقل لنا المحقق في أي كتاب للبيروني هذا التفسير . وكان المفروض أن يبين المحقق أن بختنصر رسم عربي في المصادر العربية القديمة لإسمه نبوكدنضر أو نبوخذنصر في اللغة الكلدانية .

ص ٣٢٧ — « السغد : بساتين نزهة وأماكن مثمرة حول سمرقند » .

وهذا كلام غريب . والصواب المعروف أنه اسم إقليم سغديانة في المصادر العربية ، والواقع فيما وراء نهر جيحون من بلاد ماوراء النهر ، وسمرقند إحدى مدنه كما هو ظاهر من النص نفسه : « بلاد الصغد » .

ص ٣٨٤ — « الراوندية : فئة تنسب إلى أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي المتوفى في ٣٠٣ هـ. ولقد كان معتزلياً ثم صار شيعياً ، ثم تغير إلى الزيغ والإلحاد (تاريخ الإلحاد في الإسلام للدكتور عبد الرحمن بدوي) » .

وهذا من أغرب تعليقات المؤلف وأشدها إثارة للعجب ، إذا قرأناه في

سياق النص ، أي الكلام على فتنة الراوندية في خلافة أبي جعفر المنصور حوالى ١٤٠ للهجرة ، فكيف ظهرت هذه الفئة التي تنسب لرجل من القرن الثالث الهجري، في عهد المنصور، في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة ؟ ولو رجع المحقق إلى غير كتاب تاريخ الإلحاد في الإسلام ، إلى مصادر أصيلة من كتب التاريخ والفرق أو إلى كتاب فان فلوتن «السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات » لما وقع في مثل هذا الخطأ .

والحقيقة أنها فرقة مارقة من الشيعة المتطرفين الفرس ، وتأثروا بالتعاليم الخرمية والمزدكية في إيران ، وتحدث عن بعض معتقداتهم الطبري عند الكلام على الفتنة الراوندية في خلافة أبي جعفر المنصور ، (حوادث سنة ١٤١ هـ.) . وهي تنسب إلى قرية راوند قرب مدينة نيسابور بخراسان حيث نشأت في أول أمرها .

هذا بالنسبة للأعلام ، أما اللغة فقد أكثر المحقق من شرحها ، ولكنّه شرح أيضاً كلمات لا يجهلها المثقف العادي مثل ذؤابة ، عقل (بمعنى دية) ، الجوارح، المنجم ، البرذون (صفحات ٦١، ٩٦، ٣٦٦ ، ١٠٧) وغيرها .

وفسّر كلمة « عتيدة » (ص ١٨) بقوله : « نموذج مهيأ » . وهذا التفسير لا يؤدي إلى أي معنى للنص . والصواب أنه بمعنى وعـــاء أو صندوق أو بالأحرى خزانة فيها عدة طاقات مع أبوابها الصغيرة ، حيث أرى منهـــا الإمبراطور البيزنطي صور الأنبياء لعبد الله بن الصامت الصحابي حسب الرواية المزعومة الواردة في الكتاب .

وعلى كل حال فإنه بشرح اللغة أفاد عامة المثقفين وطلبة المدارس . وهذا في رأيي أهم عمل قام به المحقق، ولكنه لم يكن دقيقاً فيه في كثير من الأحيان . ثم ليس في كلام أبي حنيفة الدينوري الكثير من الحوشي الغريب . ولكن من التقعر الغريب أنه كتب اسم حاجي خليفة بالجيم الفارسية ذات ثلاث نقاط في عدة مواضع ، مع أن « حاجي » شكل فارسي وتركي للكلمة العربيـــة « حاج » ، وهذا الإسم يكتب في جميع الكتب العربية الحديثة بالجيم العربية .

أخطاء في متن الكتاب للدينوري لم ينتبه إليها المحقق :

من الواجب في تحقيق كتاب تاريخي قديم أن يقارن المحقق نصوصه ، وخاصة ما يثور حوله الشك منها من سنين وأعلام وروايات مع نصوص تاريخية أخرى في المصادر التاريخية الموثوق بها كالطبري والبلاذري واليعقوبي والمسعودي وابن سعد وحمزة الأصفهاني وغيرهم ، ويشير إليها في هوامش الكتاب ضمن تعليقاته ، كما يجب الإشارة إلى الروايات التي ينفرد بها المؤلف . ولكن هذا الأمر يحتاج إلى بذل مجهود كبير ، وإلى تعمق في معرفة التاريخ الإسلامي . ولم يقم المحقق بهذا الواجب ، وعندما علق على بعض التواريخ ذكر ما يوافقها بالتاريخ الميلادي . وليس لهذا العمل كبير قيمة في التاريخ الإسلامي المبكر بالنسبة لدارس مسلم .

وأذكر هنا بعض الأمثلة من هفوات الدينوري في فترة التاريخ الإسلامي دون الفترات السابقة من تاريخ الفرس واليونان التي تعرض لها المؤلف :

١ ــ يذكر المؤلف ص (٣٧٨) أن « عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس دعا الناس إلى بيعته بالأنبار وخلع ولاية أبي جعفر المنصور ، فلما رأوا أبا مسلم مالوا معه وتركوا عيسى » .

وفي هذه الرواية عدة أوهام وأخطاء . أولاً : الذي خلع بيعة المنصور حسب جميع المصادر التاريخية الموثوق بها كالطبري واليعقوبي والمسعودي وابن الأثير وغيرهم هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس ، وليس عيسى بن علي ، ولم يكن عند وفاة السفاح وإعلان خلافة المنصور في الأنبار بل في شمال العراق ، في نصيبين . وتوجه إليه أبو مسلم الخراساني لمحاربته ، وألقى عليه هزيمة منكرة في جمادى الآخرة سنة ١٣٦ هـ .

ثانياً : ذكر الطبري وغيره من المؤرخين أن بعد وفاة السفاح مباشرة أخذ ولي العهد عيسى بن موسى بن محمد بن علي العباسي البيعة لأبي جعفر

المنصور الذي كان في طريق عودته من الحج عام ١٣٦ هـ. ، فلم تكن هناك ثورة ضد المنصور في الأنبار .

ثالثاً : عاش عيسى بن علي ، عم المنصور ، مكرماً منعماً في البصرة مع أخيه سليمان والي البصرة بينما استدرج عبد الله بن علي من البصرة ، حيث كان قد لجأ إلى أخيه سليمان ، إلى بغداد وقتل فيها بحيلة من المنصور في سنة ١٤٧ هـ .

رابعاً : لم يكن أبو مسلم الخراساني آنذاك في الأنبار بل كان في طريق عودته من الحج .

٢ ـ يسمي الدينوري (ص ٣٨٢) من صحب أبا مسلم الخراساني قبيل مثوله أمام المنصور ثم حضر عنده بعيد مقتل أبي مسلم ، يسميه عيسى بن علي .

واسمه في جميع المصادر عيسى بن موسى ، ولي العهد وابن أخي المنصور . وكان هذا صديقاً لأبي مسلم .

٣ ـ وفي صفحة ٣٨٣ ـ « واستدفت الخلافة لأبي جعفر المنصور في ١٣٨ هـ. »

وهذا وهم من المؤلف أو تصحيف من النساخ ، والحقيقة أنه تولى الخلافة في ذي الحجة ١٣٦ هـ. بعد وفاة السفاح مباشرة ، واستتب له الأمر في منتصف العام ١٣٧ هـ. بعد القضاء على منافسه الثائر عبدالله بن علي العباسي كما جاء في جميع المصادر .

٤ ـ وجاء في نفس الصفحة عن بناء مدينة بغداد : « وكان بناؤه إياها في ١٣٩ هـ. » .

والثابت المعروف في معظم المصادر الأصيلة أنه بدأ ببنائها في ١٤٥ هـ. ثم توقفت أعمال البناء بسبب ثورة محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم في المدينة والبصرة لمدة ، ثم بوشر العمل، وتم البناء في ١٤٩ هـ. على أرجح الروايـــات .

٥ ــ وذكر في صفحة ٣٨٧، وقوع العصبية في خلافة الرشيد بالشام سنة ١٧٤هـ. وفي الطبري وغيره من المصادر سنة ١٧٦ هـ .

٦ ــ وذكر في نفس الصفحة حج الرشيد في ١٧٤ هـ. ، وكتابة وثيقة ولاية العهد لابنيه محمد الأمين وعبد الله المأمون في هذه السنة بمكة .

والصواب كما في الطبري أن هذه الوثيقة كتبت في حجة الرشيد عام ١٨٦ هـ . وأخذت البيعة بولاية العهد للأمين لأول مرة في ١٧٥ هـ . في بغداد كما جاء في الطبري أيضاً . وكان عمره آنذاك ٥ سنين وبعد ذلك ببضع سنين عيّن المأمون ولي العهد الثاني ، وأخذت منهما المواثيق كتابياً لاحترام حق الآخر في ١٨٦ هـ .

٧ ــ وذكر في صفحة ٤٠١ تولية المأمون العهد بعده لابنه العباس ، ثم استيلاء المعتصم على الخلافة بعد وفاة المأمون وخلع العباس .

والدينوري فريد في هذه الرواية ، والمعروف في معظم المصادر أن المأمون أوصى بالخلافة قبيل وفاته بطرسوس لأخيه المعتصم ، ونصحه بالعدل وملاحقة الزنادقة والاستمرار في مسأله امتحان الناس في عقيدة خلق القرآن المفروضة على الناس من قبل المأمون ، وكان المعتصم معه آنذاك (انظر الطبري . الطبعة المذكورة ٨/ ٦٤٥ ــ ٦٥٠) .

٨ ــ ورد في الكتاب أحمد بن أبي دؤاد مصحفاً « ابن أبي داود » مرتين في صفحة ٤٠٥ ، ثم مرة ثالثة في صفحة ٤٠٦ .

وأحمد بن أبي دؤاد القاضي المعتزلي المشهور كان صاحب نفوذ وسلطان في خلافة المعتصم .

وبعد ، فهذا قليل من كثير مما يوجد في تحقيق الكتاب من أخطاء بارزة .

ومن المؤسف أن يصدر كتاب قديم مثل الأخبار الطوال من إدارة علمية حكومية لإحياء التراث العربي بهذا الشكل . وكان يكفي هذه الإدارة الموقرة أن تعيد طبعة كراتشوفسكي مصورة أو توسد الأمر إلى أهله .

المراجـــع

المراجع العربية :

١ ــ بروكلمن : تاريخ الأدب العربي ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، الجزء الثاني ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦١ م .

٢ ــ بروكلمن : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، الطبعة السادسة ، بيروت ١٩٦٨ م .

٣ ــ تراث فارس : بقلم نخبة من المستشرقين ، ترجمة عدد من أساتذة جامعة القاهرة ، تحت إشراف الدكتور يحيى الخشاب . القاهرة ١٩٥٩ م .

٤ ــ الجـــاحظ : البيان والتبيين ، بتحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة .

« : الحيوان ، بتحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة .

« : رسائل الجاحظ ، جزءان، بتحقيق عبدالسلام محمد هارون، القاهرة ١٩٦٥ م .

« : التاج ، بتحقيق أحمد زكي باشا ، القاهرة ١٩١٤ م .

٥ ــ جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، مراجعة وتعليق الدكتور حسين مؤنس ٥ أجزاء ، دار الهلال ، القاهرة . بدون تاريخ .

٦ ــ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، بتحقيق مصطفى السقا وزميليه، القاهرة ١٩٣٨ م .

٧ ــ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي والديني ، الجزء الأول ، الطبعة السادسة ، القاهرة ١٩٦١ م .

٨ ــ د. زكي المحاسني : شعر الحرب في أدب العرب ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦١ م .

٩ ــ الشهابي ، الأمير مصطفى : مقال « أبو حنيفة الدينوري » في مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد ٢٦ ، العدد ٣ ، دمشق .

١٠ ــ الطبري ، محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، ١٠ أجزاء ، دار المعارف ، القاهره ١٩٦٠ ــ ١٩٦٩ م .

١١ ــ عبد الرؤوف عون : الفن الحربي في صدر الإسلام ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦١ م .

١٢ ــ فان فلوتن : السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات ، ترجمة حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم ، القاهرة ١٩٦٥ .

١٣ ــ فرانز روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور صالح العلي ، بغداد ١٩٦٣ م .

١٤ ــ كراتشوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي للعربي، جزءان ، ترجمة صلاح الدين هاشم ، القاهرة ١٩٦٥ م .

١٥ ــ المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ٤ أجزاء في مجلدين بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٦٤ م .

١٦ ــ الموسوعة العربية الميسرة ، بقلم نخبة من الأساتذة بإشراف محمد شفيق غربال ، القاهرة .

١٧ ــ ابن النديم : الفهرست، طبعة فلوجل ١٨٧١ م، ونشرته مكتبة خياط مصوراً ، بيروت .

١٨ ــ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، مجلدان ، دار الفكر ، بيروت .

المراجع الأجنبية :

Ameer Ali, Syed, A Short History of the Saracens, London 1961.

ترجم إلى العربية باسم مختصر تاريخ العرب مرتين بقلم رياض رأفت أولا ثم ترجمه منير البعلبكي ، بيروت .

Barthold, Turkistan down to the Mongol Invasion, London, 1928.

Hitti, Ph., History of the Arabs, 7th ed. London 1961.

ترجمه إلى العربية جرجي وجبور باسم تاريخ العرب المطول ، جزءان ، بيروت .

Shorter Oxford English Dictionary, 4th ed. London.